

المشرق الرقمية



مجلة إلكترونية تصدر مرتين في السنة عن دار المشرق
العدد الثاني. حزيران ٢٠١٣

مسيحيو بلاد الشام رواد الطباعة في العالم العربي*

إعداد المهندس عبدالله حجار

رغم أنّ طباعة الكتب العربيّة ظهرت في أوروبا بطباعة كتاب "السواعي" للطائفة الملكيّة العام ١٥١٤ (طبع في فانو Fanovo قريباً من البندقية في إيطاليا وتألّف من ٢٤٠ صفحة، بقي منه ١٠ نسخ)، لكنّ المسيحيين العرب هم الذين قدّموا التقنيّة الجديدة للطباعة إلى العالم العربي. قام مطران دمشق سركيس الرزّي، وكان طالباً في الكليّة المارونيّة في روما، بطباعة كتاب "المزامير" بالسريانيّة والكرشونيّة (أحرف سريانيّة بكلام عربي) في دير مار أنطونيوس في قزحيا (شمال لبنان) في العام ١٦١٠، وكان هذا أوّل كتاب طبع في العالم العربي. وتوقّفت مطبعة دير مار أنطونيوس لأسباب مجهولة. ولم يتمّ إقامة أي مطبعة في لبنان رغم محاولات الروم الأرثوذكس، ولعلّ الفاتيكان كانت تريد احتكار طباعة الكتب الدينيّة العربيّة لتبقي سيطرتها على كنيسة الشرقيين العرب. وأخيراً لقي الأرثوذكس دعماً من الأمير قسطنطين من رومانيا (بلاد الفلاخ) العام ١٧٠١ عن طريق مطران حلب للروم والبطريرك الأنطاكي الذي

* هذه ترجمة مع إضافات لمقالة بالعنوان نفسه كتبها كارستن فالبيير Carsten Walbiener في كتالوج "بدايات الطباعة في الشرق الأدنى" للمعرض الذي جرى في مدينة بامبرغ في ألمانيا العام ٢٠٠١.

كان يزور رومانيا ووجد مطبعة بأحرف عربيّة، عاد بها كهديّة العام ١٧٠٤ إلى مدينته حلب. وطبع بها العام ١٧٠٦ أوّل كتاب وكان "المزامير" وأهداه للأمير قسطنطين. وقد قام الشّمّاس عبدالله زاخر (١٦٨٤-١٧٤٦) بصناعة أمّهات الحروف العربيّة. وفي السنوات الخمس التالية طبع البطريرك دباس ومساعدوه عشرة كتب أخرى جميعها باللغة العربيّة. وظلّت المطبعة في حارة أبو عجّور قرب محلّة التدريبة في منطقة الجديدة حيث مقرّ البطريركية الذي أصبح لاحقاً بيت باسيل انطاكي. وبسبب ضغوط ماديّة ألزم البطريرك بالتوقّف عن الطبع. وهكذا كانت حلب مهد الطباعة العربيّة في الشرق.

هرب الشّمّاس عبدالله زاخر إلى لبنان بسبب الخلاف المذهبي بين الأرثوذكس والكاثوليك، وبدأ يعمل في مطبعته في دير ذوق مكاييل ثم في دير مار يوحنا الشوير حيث استقرّ العام ١٧٣١، وأنشأ مطبعته في بناء مجاور للدير. وطبع العام ١٧٣٣ كتاب "ميزان الزمان" بالعربيّة ليسوعي إسباني، وبقي الزاخر مدير المطبعة حتى وفاته العام ١٧٤٦. وبقيت المطبعة في دير الشوير تعمل أكثر من ١٥٠ سنة حتى العام ١٨٩٩ طبعت خلالها ٣٣ عنوان كتاب، وأصبحت متحقفاً للطباعة في العالم العربي تروي قصة عبدالله زاخر وأوّل مطبوعات عربيّة في لبنان.

حرّضت مطبعة الشوير الأرثوذكس لتأسيس مطبعة العام ١٧٥١ في بيروت في دير مار جرجس للروم الأرثوذكس، وفتح الموارد مطبعة العام ١٧٨٥ في دير مار موسى في الدوّار، وطبعوا بالسريانيّة حيث أخفقوا في عمل أحرف عربيّة. وكانت هذه المطبوعات دينيّة ومحدودة الكميّة للتوزيع.

أمّا الارساليات البروتستنتيّة فقد استعملت الكتب العربيّة للثقافة غير الدينيّة بمضمون ديني العام ١٨٢٠. وأسّس الانكليز والأمريكان مطبعة في مالطة العام ١٨٣٤، ثم نقلت المطبعة الأمريكيّة إلى بيروت. وأسّس اليسوعيون بعد عدّة سنوات "المطبعة الكاثوليكيّة" واهتمّت بإحياء الأدب العربي الكلاسيكي. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسّست مطابع خاصّة عديدة في لبنان وسورية. وهكذا بدأت مع المسيحيين النهضة العربيّة.



كتاب صلوات السواعي، أوروبا ١٥١٤



الانجيل، حلب الروم الأرثوذكس ١٧٠٦



ميزان الزمان وقسطاس عبادية الانسان ١٧٣٤، دير يوحنا المعمدان في الشوير



مزامير داوود، دير مار أنطونيوس في قزحيا (سرياني - كرشوني)